المسكوكات والأختام

يتناول هذا الفصل المسكوكات القديمة والإسلامية التي جرى التعامل بها في الجزيرة العربية، إذ تنوعت النقود في أحجامها وأشكالها وأنماط كتاباتها من عصر إلى عصر. كما يشمل أيضاً حديثاً موجزاً عن الأختام التي تصنف ضمن المنقوشات، وكانت تصنع من مواد مختلفة، وكان لها شأن مهم خاصة في عصور ما قبل الإسلام.

ويعد سكّ النقود من أهم المبتكرات الحضارية التي استعان بها الإنسان لتسهيل العمليات التجارية. وأصبحت ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع حضاري.

ولمّا كان الإنسان البدائي يعتمد في معاملاته في نقل الملكية أو الحيازة على طريقة المقايضة، أي تبادل سلعة بسلعة مما سبب له متاعب ومشكلات كثيرة فقد بحث عن وسيلة سهلة تمكنه من التجزئة ونقل الأموال بيسر وسهولة، فاستعمل الصينيون المحار وجعلوه الوسيلة الرسمية للتبادل حتى القرن الرابع قبل الميلاد، كما استخدم الصوف وجلود الحيوانات في الإمبراطورية الروسية. ولم تلبث المعادن أن غلبت عليها في هذا المضمار من حيث فائدتها وطبيعتها. وقد أشار الفيلسوف اليوناني أرسطو في نظريته لنشأة النقود إلى أن المعادن هي أكثر السلع إزالة للمتاعب. ولكن يصعب تحديد الوقت الذي بدأ فيه الإنسان في استخدام المعادن طريقة للدفع، وإن كان من المؤكد أن ذلك حدث في عصر متأخر عن عصر أرسطو. أما النقود الحقيقية فإن بعض الباحثين ينسبون فضل هذا الابتكار إلى مملكة ليديا في آسيا الصغرى، اعتماداً على قول زينوفون (٤٢٧-٣٥٥ق.م.)

وبعضهم ينسبه إلى فيدون الأرجوسي كما يذكر آخرون أن قدماء الفينيقين قلدوا الليديين، كما عرف الآراميون أشكال النقود وتداولوها. وكانت نقود الليديين قطعاً مستديرة الشكل سكَّت من سبيكة معدنية.

وهكذا توارثت الأجيال المتعاقبة هذا الابتكار الحضاري وطورته، وأخذت الممالك في مختلف الأقطار تسك نقودها معتمدة في ذلك على أمهر الفنانين والصناع، حماية لها من التزوير والغش من معادن مختلفة، أهمها الذهب والفضة والبرونز والنحاس.

وانتشر استخدام النقود المعدنية في جميع أرجاء العالم الإغريقي بعد أن ظهرت النقود في اليونان في القرن السابع قبل الميلاد. وسكَّت كل مدينة عملاتها الخاصة بها وفق نظام خاص بأوزان المعادن، وقد كانت العملة الأساسية في البلاد اليونانية هي الدراخما وكان لها مضاعفاتها وكسورها، وظلت القاعدة النقدية المتبعة على الدوام الدراخمة والدراخمتين. وهكذا ظهرت دراخمات الإسكندر في مقدونيا، ثم دراخمات فيليب وغيرها، وقد اختلفت الأختام والدمغات على النقود، واتخذ عليها شعارات مختلفة. وفي مقدونيا عمد خلفاء الإسكندر إلى سك نماذج تحمل صورهم وصوراً للمعبود الخاص بهم. ولقد استخدمت

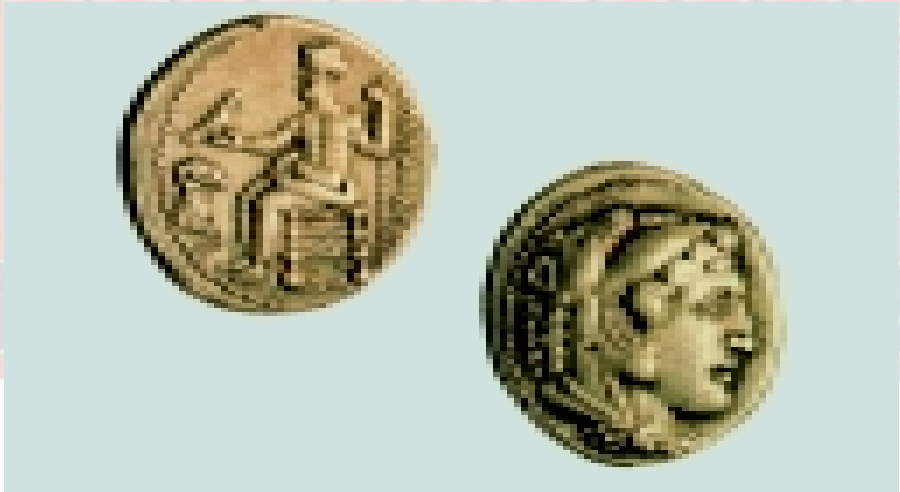

عملة فضية من العصر اليوناني (ضرب دمشق)

هذه العملات في بلاد العرب وغيرها من الأقاليم الشرقية.

المسكوكات القديمة

كان العرب في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام يتداولون ثلاثة أنواع من النقود بصفة رئيسية، كانت أساساً في معاملاتهم التجارية، وهي النقود البيزنطية والساسانية والحميرية. ويمكن استعراض هذه المسكوكات بإيجاز على النحو التالي:

النقود البيزنطية. المسكوكات البيزنطية استمرار للمسكوكات الرومانية، مع اختلاف في الشكل والمضمون، وإن كانت أقل جمالاً من المسكوكات اليونانية والرومانية. فهي رديئة النقش عكست إهمال القائمين على سكّها. واستمرت المسكوكات البيزنطية في الشرق تحمل الكتابة بحروف لاتينية، ثم حملت بالتدريج الكتابة اليونانية.

ومن المسكوكات البيزنطية الصولد وهي عملة ذهبية ظلت مستخدمة حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي. وفي سنة ٣٣٠م ضرب الإمبراطور قسطنطين نقوده في عاصمته الجديدة القسطنطينية، وأصبحت أقاليم الإمبراطورية الرومانية الشرقية تحت نفوذه المباشر ومن ضمنها الشرق العربي. وأصبح ضرب النقود وقفاً على الإمبراطور والدولة فقط. وباشرت العاصمة ضرب النقود الذهبية والفضية والنحاسية وجرى تبادلها في أنحاء الإمبراطورية المسيحية البيزنطية الشرقية. واستمر تداول هذه النقود في المنطقة العربية لمدة ثلاثة قرون ونصف حتى سك الخليفة عبدالملك بن مروان النقود العربية الإسلامية سنة ٧٧هـ.

وكانت النقود المسيحية تؤدي دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية في كافة أنحاء الشرق العربي الخاضع لنفوذ الدولة البيزنطية، وحملت هذه النقود مواصفات محدده من شارات مسيحية، كالصليب والعبارات الدينية والشعارات وصورة الإمبراطور البيزنطي منفرداً أو مع أحد أولاده، ونقشت عباراتها بالحروف اللاتينية.

ويُطلق اللفظ اليوناني اللاتيني Denarius - aureus على الدينار البيزنطي، الذي اشتق منه العرب كلمة دينار، وهو قطعة مستديرة من الذهب الخالص يحمل على أحد وجهيه صورة الإمبراطور البيزنطي تارة وحده، وأخرى مع ولديه. وقد عاصرت

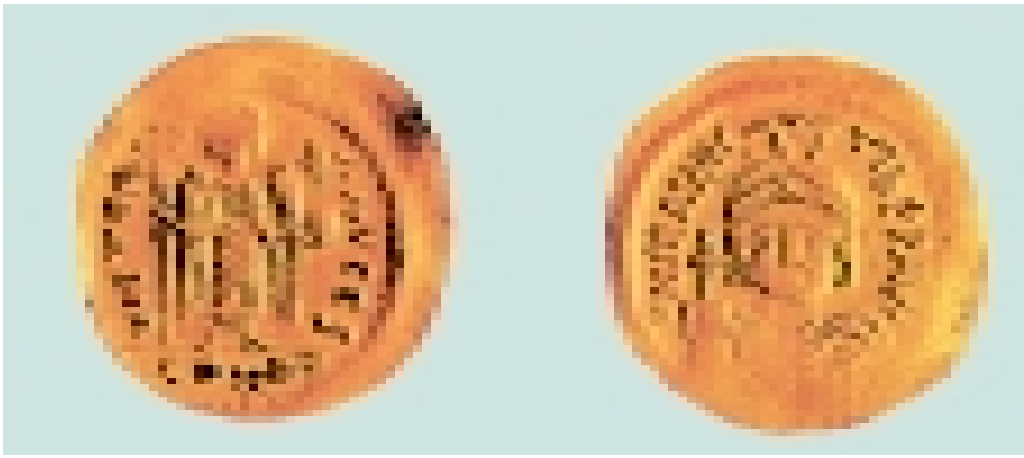

دينار ذهبي من العصر البيزنطي

الدنانير البيزنطية الـدنانير الهرقلية في الفترة الإسلامية الأولى، وكانت تحمل صورة هرقـل وحده أو صورته وإلى جواره، من اليمـين والشمال كل من هرقليانوس وقسطـنطين، ولداه. كما يظهر إلى جانب كل مـنهما صليب، بالإضافة إلى صليب آخر يتوج الرأس، وعلـى الوجه الـثاني لـلدينـار رسم للصليب قائم على أربع درجات، مع بعض العبارات المسيحية، وكتابة تشير لمـكان الـسك بـالأحرف الـلاتيـنيـة واليونـانية. وكان للـدينار أجزاء من النصف والثلث والثلثين والربع سكت لأغراض إتمـام العمـليات الـتجاريـة البسيطة، وتسهيل أمور الشراء والبيع. أما الفلوس البيزنطية فهي المضروبة من البرونز أو النحاس نقشت عليها صورة الإمبراطور البيزنطي على الوجه، وعلى الظهر الحرف الـلاتيني M الذي يرمز لقيمة القطعة، وتساوي أربعين نُـمِّيّاً. وقد اشتق اسم الفلس من اللفظ اللاتيني Follis. وهذا النوع من النقود ليست عليه قيود، إذ يضرب في جميع ولايات الدولة البيزنطية.

النـقود الساسـانية. الدرهـم كلمة أعجمـية اشتقت مـن اللفظ اليـوناني الـدراخـما Drachma، ويـقـابـلـهـا بالـفارسـية دراخم وديـران Drachm. والدرهم عملة فضية استخدمها العرب في بداية العصر الإسلامي في معاملاتهم التجارية، وعلى الخصوص في الأجزاء الشرقية من العالم الإسلامي التي كانت تتبع قـاعدة الفضة، وباعتـبار الدرهم الفضي هو نقـدها الرئيسي. والدرهم

الساساني قطعة مستديرة ضرب من الفضة، ونقش على أحد وجهيه صورة نصفية بوضع جانبي للملك الساساني، وعلى رأسه التاج المجنح، وحوله نصوص باللغة الفهلوية تذكر اسم الملك وعبارات أخرى دعائية. أما الوجه الآخر فعليه رسم لمعبد النار، وعلى جانبيه حارسان مدججان بالسلاح، وحوله نصوص باللغة الفهلوية تذكر مكان السك. وعلى مدار الهامش أربعة أهلة بداخل كل منهما نجمة خماسية موزعة على الجهات الأربع.

وقد استخدم العرب الدرهم نقلاً عن الفرس، وأدخلوا عليه بعض الإصلاحات النقدية في العصر الإسلامي قبل مرحلة التعريب. وظل المسلمون يتداولون هذه الدراهم مع إضافة عبارات إسلامية عليها. وكانت النقود الفضية المتداولة على نوعين: السُّود الوافية (البغلية) وتزن ثمانية دوانق، والطبرية العُتُق وتزن أربعة دوانق. وقد أوجد هذا الاختلاف مشكلة في دفع الزكاة مما أدى إلى مساواتهما، على أن يصبح كل منهما ستة دوانق.

وفي زمن الرسول ﷺ أصبح استمرار تداول هذه النقود في الجزيرة العربية أمراً لا مفر منه نظراً لانشغال الرسول ﷺ وأصحابه بنشر الدين الإسلامي، وتوطيد دعائم الدولة

درهم ساساني كان مستخدماً في الجزيرة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام، وحتى بداية العصر الإسلامي

الإسلامية الفتية. وبعد قيام الدولة الإسلامية، وجعل عاصمتها المدينة المنورة، استمر تداول النقود التي كانت سائدة من قبل وأقرها الرسول ﷺ على ما كانت عليه وبما تحمله من شعارات مسيحية ومجوسية تتعارض مع روح الإسلام. وأقبل عليها أصحابه وتعاملوا بها ولم يفكر المسلمون في تبديل هذه النقود، حتى بعدما سيطروا على الأقاليم التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية في الشام ومصر، وكان مرد ذلك لأسباب سياسية واقتصادية. فهذه النقود مألوفة لدى العرب وبقاؤها يساعد على استقرار البناء الاقتصادي للدولة الإسلامية وتنظيم جباية الضرائب والزكاة.

النقود الحميرية. أقر الرسول ﷺ بالإضافة للدنانير البيزنطية والدراهم الساسانية التعامل بالدراهم الحميرية التي كانت ترد من اليمن. وقد امتازت هذه النقود بسمكها، وهي مسكوكة من معدن الفضة، وقد نقشت على أحد وجهيها صورة البومة، على غرار الدراخما الإغريقية، وبجوارها رسم الخنجر مع نقش لاسم ولقب الملك. وعلى الوجه الآخر صورة إنسان بوضع جانبي حليق الوجه محاط بغصن من الأشجار. وأقدم ما وصل إلينا من هذه النقود ما يعود تاريخه لسنة ١١٥ ق.م.

كما تداول العرب النقود النبطية، وهي قطعة مستديرة من المعدن تحمل على أحد وجهيها صورة للملك النبطي وعلى الوجه الآخر كتابات باللغة النبطية تشير إلى مكان السك وتاريخه، وفي الغالب كانت النقود النبطية تسك

عملة حميرية

عملة عربية قديمة من موقع قَرْيَة (الفاو)، يعود تاريخها إلى فترة ما قبل الإسلام

في البتراء، كما تداول عرب الجزيرة النقود السبئية التي تظهر على أحد وجهيها صورة البومة وكتابات سبئية عبارة عن رموز ربما تشير لمكان السك، وعلى الوجه الآخر صورة لرأس المعبودة أثينا.

كما كشفت التنقيبات الأثرية في قرية الفاو عن نقود محلية ضربت في قَرْيَة تحمل على أحد وجهيها رمز المعبود كهل وهو اسم المعبود، كتب بطريقة متصلة على هيئة توقيع، وعلى الجانب الآخر صورة شخص واقف يمسك بيده اليمنى سلاحاً.

المسكوكات الإسلامية

استمر التعامل بالنقود البيزنطية والساسانية بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يحدث أي تغيير عليها نتيجة لانشغال الخليفة أبي بكر الصديق # بإخماد الفتن وحروب الردة وتوطيد أركان الدولة الجديدة.

وفي ولاية الخليفة عمر بن الخطاب # أراد المسلمون إبراز شخصيتهم في هذه المرحلة، فعمدوا إلى وضع بصماتهم على النقود، خاصة على الدراهم الساسانية. فضربوا نقوداً مشابهة للنقود الساسانية في كتاباتها ونقوشها، مع إضافة نقوش عربية إسلامية لتمييزها عن النقود الأخرى التي كانت ترد إلى الجزيرة العربية من الأقطار المجاورة. وبذلك بدأت الخطوات الأولى لتعريب النقود، كما أضيف اسم الخليفة عمر وكلمة جايز أو كلمة طيب أو واف، وفي سنة ٢٠هـ

ضربت نقود حملت العبارات التالية «بسم الله ربِ» أو «بسم الله ربي» ونقشت في بعض الأحيان أسماء الخلفاء أو الأمراء بالحروف البهلوية وعلى بعضها بالحروف الكوفية.

وفي خلافة عثمان بن عفان # ازداد اتساع الدولة الإسلامية، واستمر تداول النقود الأجنبية ذات العبارات العربية، خاصة الفضية منها التي كانت تضرب على الطراز الساساني فنجد العبارات السابقة أو عبارة «الله أكبر» أو «بركة».

واستمرت هذه الطرز أثناء ولاية الخليفة علي بن أبي طالب # مع إضافة لقب جديد «ولي الله».

وبذلك تعدّ فترة الخلفاء الراشدين مهمة في مسار المسكوكات الإسلامية، إذ نتج عنها تحول كبير يعد البداية الحقيقية للاستقلال الاقتصادي عن الدول الأجنبية. إن ظهور العبارات العربية على المسكوكات المضروبة على الطراز الساساني وقبول الساسانيين لهذا الوضع، لدليل على قوة نفوذ الدولة الإسلامية. وبذلك فقدت القوى الخارجية السيطرة على النظام النقدي السائد في الجزيرة العربية، وانتهت بالإصلاح النقدي في عصر الدولة الأموية أيام الخليفة عبدالملك بن مروان.

وقبل أن يُجري الخليفة عبدالملك بن مروان إصلاحه الشهير سنة ٧٧هـ لتخليص النقود الإسلامية من النفوذ الأجنبي، سك بعض ولاة الحجاز نقوداً خاصة بهم على الطراز الساساني. ففي سنة ٦٤هـ أعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في مكة والمدينة، أيام الخليفة الأموي مروان بن الحكم وسك نقوداً في مكة والمدينة في السنوات من ٦٤-٧٢هـ وقد سُكت هذه النقود على الطراز الساساني ونقشت عليها عبارات عربية. كذلك ضربت نقود من نفس الطراز وبنصوص فهلوية مثل: عبدالله أمير أوروشنكان بمعنى عبدالله أمير المؤمنين بالإضافة للبسملة بسم الله.

وبذلك استمر استخدام النقود المسكوكة على الطراز الأجنبي المحور في الدولة الإسلامية، بما فيها الحجاز والجزيرة العربية، حتى سنة ٧٧هـ. حين استكملت النقود الإسلامية عناصرها من حيث الإصلاح والتعريب في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان. واستطاع عبدالملك أن يضرب

وجه دينار من العصر الأموي

ظهر الدينار السابق

الدينار على الطراز الإسلامي خالصاً من التأثيرات المسيحية ويحمل نصوصاً عربية إسلامية نقشت بالخط الكوفي، وحدد وزنه الشرعي بمثقال واحد، أي ما يعادل ٤,٢٥ غرام قد يزيد أو ينقص. وجعل لهذا الغرض صنجاً زجاجيةً مخصصةً لوزن النقود بأنواعها، وفي سنة ٧٨ هـ ضرب أول نقد إسلامي من الفضة بأرمينية بعد أن تخلص من الطراز الساساني، ونقشت نصوصه وعباراته العربية الإسلامية بالخط الكوفي وحدد وزنه الشرعي بما يعادل ٢,٧٩ غرام قد يزيد أو ينقص.

لقد تخلصت النقود الإسلامية من جميع التأثيرات الأجنبية في سنة ٧٧هـ. واتخذت الطابع الإسلامي الجديد بحيث اشتملت على نصوص عربية إسلامية خالصة. فحمل الدينار المعرّب سنة ٧٧هـ على مركز الوجه عبارة «لا اله الا-الله وحده-لا شريك له»، وعلى الهامش ورد اقتباس من معنى الآية الكريمة ٣٣ من سورة الفتح ﴿محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾، أما مركز الظهر فقد نقش عليه أجزاء من سورة الإخلاص ﴿الله احد الله-الصمد لم يلد-ولم يولد﴾ وفي الهامش «بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين».

أما نصوص الدرهم العربي الإسلامي فقد أصبحت على النحو الآتي في مركز الوجه «لا اله الا-الله وحده-لا شريك له»، وفي الهامش ﴿محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشـركون﴾ وفي مركـز الظهر ﴿الله احد-الله الصمد-لـم يلد ولم يولد-ولم يكن له-كفوا احد﴾، وفي الهامش «بسم الله ضرب هذا الدرهم بارمينية سنة ثمان وسبعين».

كمـا نُقش علـى النقود الـذهبية المضـروبة فـي الحجـاز عبارة «أمـير المـؤمنـين» أيام الخـليـفة هـشام بـن عبدالملك، ومكـان الضرب «الحجاز»

درهم من العصر الأموي ضرب كرمان سنة ١٠٠ هجرية

كما نقشت عبارة «معدن أمير المؤمنين بالحجاز» في مركز الظهر.

كما حـملت بعض الـفلوس في العصر الأموي عبارة «ضُرب هذا الفلس بمعدن أمير المؤمنين بالمدينة»، وأصبح للمسلمين نقودٌ خـاصة بهم، تعاملوا بها بدلاً من النقود الأجنـبية. ووضع لهذا الغـرض أحكام وعقوبات حتـى يتسنى لـلدولة سحب النقود السـابقة وإعادة صهرها وسكها من جديد على النـظام العـربي الإسلامـي. وكانت الدنانير تضرب في الفسـطاط ودمشق بأمر من الخليفـة وتوزع بعد ذلك في جميـع أنحاء الدولة الإسـلامية، أما الدراهم فكانت تضرب في عدة مدن أخرى غير العاصمة. وقد اتبع الخلفاء الأمويون سك الدنانير والدراهم الأموية على طراز الخليفة عبدالملك بن مروان حتى نهاية حكمهم وسقوط دولتهم سنة ١٣٢هـ.

وبسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية تولى الخليفة أبو العباس السفاح سك دنانير ودراهم للدولة الجديدة على غرار النـقود الأموية، حمـلت عبارة «محمـد رسول اللّه» بدلاً مـن سورة الإخلاص في نصوص مركز الـدنانير والدراهـم. وقد تشـابهـت الدنانـير

فلس من العصر الأموي ضرب بعلبك

العباسية مع الدنانير الأموية، إذ لم تحمل الدنانير العباسية اسم مدينة الضرب أو اسم الخليفة، واستمر هذا الطراز في خلافة أبي جعفر المنصور. وفي سنة ١٣٩هـ أضيفت عبارة «لله جعفر» في نصوص مركز الظهر على بعض الدنانير، وترمز الكلمة إلى ابن الخليفة المنصور (جعفر) أمير الموصل في الفترة من ١٤٥-١٤٧هـ. وفي خلافة المهدي استمرت الطرز السابقة مع ظهور طرز جديدة عليها شكل هلال فوق مركز الظهر.

وقد أراد الخليفة المهدي تمييز دنانيره المضروبة في قصر السلام، العاصمة الجديدة، عن نقوده المضروبة في مدينة السلام. وفي عهد الخليفة الهادي عادت الطرز الأولى التي تخلو من رسم الهلال عليها. وفي خلافة هارون

دينار عباسي باسم الخليفة المتوكل بالله

دينار عباسي باسم الخليفة المعتز بالله

الرشيد سكّت نقود نقش عليها اسمه ولقبه «أمير المؤمنين»، وكان ذلك في أوائل توليه الخلافة. ويعد الرشيد أول خليفة يضع اسمه ولقبه على الدنانير الإسلامية لتأكيد سلطته الشرعية خليفة للمسلمين. كما نقش اسمه ولقبه على الدراهم. وظهرت أسماء أخرى على الدنانير العباسية مثل «علي، موسى، عمر، داود، إبراهيم، جعفر». وفي سنة ١٧٩هـ ظهر اسم «محمد الأمين» على الدنانير العباسية بعد أن نُصّب ولياً لعهد المسلمين. ومنذ سنة ١٨٧هـ حتى نهاية عصر هذا الخليفة لم تحمل الدنانير أي اسم، عدا بعض الحروف التي ربما كانت رموزاً لأسماء المشرفين على دور السك.

درهم من العصر العباسي

واشتهرت الجزيرة العربية بعدد من مراكز السك في العصر الإسلامي، منها: مكة والمدينة واليمامة وحَجْر وبيشة وعثّر. وعلى الرغم من تعدد مراكز السك في الجزيرة العربية فإن النقود المضروبة في هذه المراكز نادرة جداً، وهي في الغالب ضربت في هذه المراكز في القرن الرابع الهجري في العصر العباسي، والقليل يعود إلى القرن الثاني الهجري، ونقشت عليها أسماء الخلفاء العباسيين. وبعض منها سجلت عليه أسماء الولاة المحليين في الفترة من ٣٥٩-٦٣٦هـ.

كما ظهرت دنانير ضربت بمكة في العصر العباسي سنة ٢٤٩هـ باسم الخليفة المستعين بالله، وأخرى باسم الخليفة المكتفي بالله سنة ٢٩٢هـ وجميع هذه النقود المضروبة بمكة تصنف على أنها نادرة جداً.

أما بيشة، وهي إحدى دور السك الإسلامية في العصر العباسي، فقد سك العباسيون فيها درهماً سنة ١٨٦هـ، أيام الخليفة هارون الرشيد، باسم أحد أمرائها، العطاء الكندي، وقد نقش اسمه الأول «عطاء» على الدرهم، ويعد من النقود الإسلامية النادرة جداً. كما ظهر أيضاً لأحد أمرائها

دينار مضروب في عثّر بمنطقة جازان مؤرخ بسنة ٣٧٣هـ

دينار مضروب زمن الدولة العباسية أيام الخليفة المطيع لله سنة ٣٣٧هـ، كذلك ظهرت مجموعة من الدنانير المضروبة بمركز عثّر ضربت في أواخر القرن الرابع الهجري باسم الخليفة العباسي الطائع لله، والخليفة القادر بالله في السنوات التالية: ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩١، ٣٩٢هـ باسم الأمير فرج الطرفي، وهو حاكم محلي.

وعثر على مجموعة من الدراهم ضربت باليمامة في السنوات: ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨هـ في عصر الخليفة المهدي، وحملت عبارة «حجر» وهو حَجْر اليمامة، في أسفل مركز الوجه. ودرهم آخر ضرب سنة ١٦٨هـ نقش عليه اسم والي اليمامة عبدالله بن سعيد (في الفترة من ١٦٨-١٦٩هـ).

كما عثر أحد المزارعين على كنز من النقود الفضية التي تعود للعصر الأموي والعباسي في شبرية الصفراء، أحد المراكز التابعة لمنطقة حائل، ويتكون هذا الكنز من ٤١٤ مسكوكة فضية، منها ٧ قطع ضربت في العصر الأموي، وواحدة ضربت بمدينة جي

درهم مضروب في اليمامة مؤرخ بسنة ١٦٨هـ

درهم عباسي مضروب بمكة المكرمة مؤرخ بسنة ٢٩٣هـ

سنة ١٢٩هـ تعود لفترة الخوارج، والباقي ضرب في العصر العباسي. وتعود أقدم مسكوكات هذا الكنز للعصر الأموي، وبالتحديد إلى سنة ١٢٥هـ عهد الخليفة هشام بن عبدالملك، وأحدثها للعصر العباسي سنة ١٩٣هـ، أيام الخليفة هارون الرشيد. كما عثر المواطن نفسه في مزرعته على أربع قطع أخرى تعود للفترة الإسلامية المبكرة. وقد عُثر على بعض العملات الإسلامية في مواضع أخرى من درب زبيدة في كل من معدن النقرة والربذة وفيد وسميرا، وهي ملتقطات سطحية عُثر عليها أثناء المسوحات الأثرية. ومن خلال التنقيبات الأثرية في موقع الربذة عُثر على عملات ذهبية وفضية وبرونزية تعود للعصرين الأموي والعباسي ضربت في مدن واسط، ومدينة السلام، والكوفة، والمحمدية، ونيسابور، وهي تغطي مرحلة تاريخية من بداية ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

الأختام

تعد الأختام من العلامات المخصصة والمميزة لملكية الأشياء، سواء الخاص منها أو العام. وهي تمثل كذلك إشارات لعلامات تصديق من قبل جهات مسؤولة عن صلاحية شيء معين أو إثبات شرعيته وسوف نتحدث في هذا القسم عن الأختام وصناعتها وأشكالها وما نقش عليها من كتابات وعلامات وصور.

الأختام في العالم القديم. كان للاستقرار ولظهور رموز العبادات خلال العصر الحجري الحديث، أي في أواخر الألف السادس وأوائل الألف الخامس قبل الميلاد، أثر رئيسي في الحاجة إلى استخدام الأختام، عندما ظهرت في القرى المركزية جهات لها حق التشريع والتنظيم والتنفيذ. وظهرت في هذه القرى صراعات وخلافات غير مألوفة، مما أدى إلى العمل بالأختام لحفظ الأشياء، مثل الأملاك والاختراعات والصناعات التي وجب تسجيلها بأسماء أصحابها لحفظ حقوقهم، لذلك فإن الأختام، كغيرها من الأدوات الأخرى قد استمرت أهميتها واستخداماتها في ملكية الأشياء والتصديق على الأوامر والأحكام منذ القدم حتى العصر الحالي.

أما صناعة الأختام في القديم فكانت، كما في عصرنا الحالي، تراعي عدم تكرار العلامات المميزة لها من خلال حفظ العلامات، واحتكار صناعتها في مراكز معينة، خاصة داخل المجتمعات المنظمة ذات الكثافة السكانية العالية. ومن الشواهد الأثرية فإن الختم الدائري البسيط العائد تقريباً إلى الألف السادس قبل الميلاد هو أقدم الأختام، إذ استمر استخدامه حتى ظهور الختم الأسطواني الذي تميز عنه بسهولة الاستخدام. ثم توالت بعد ذلك الأنواع الأخرى التي تدرجت في أشكالها تبعاً لتطور الفن بشكل عام. ويظن العلماء أن طينة الصلصال كانت المادة الأساسية المستخدمة في صناعة الأختام، لأن أغلب المكتشف منها مصنوع من تلك

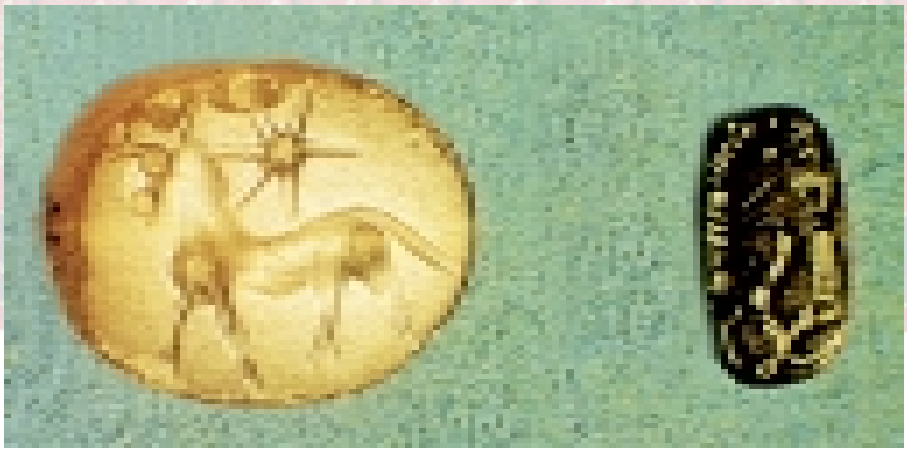

أختام دلمونية من حفريات مقابر جنوب الظهران

المادة. وقد عثر على أختام مصنوعة من الصخر العادي أو النفيس ومن الأصداف البحرية والأخشاب.

وتدل الدراسات الأثرية على أن الأختام تنقسم إلى ثلاث فئات. الفئة الأولى هي الأختام التي اقتصرت استخداماتها على الدولة بمختلف مؤسساتها ودوائرها. والفئة الثانية الأختام الخاصة بدور العبادة والآلهة المقدمة كقرابين أو هدايا، وهي التي تستخدم في شؤون المعبد الاقتصادية أو تعليماته الدينية الصادرة عنه. وتشتمل الفئة الثالثة على الأختام الشخصية التي تستخدمها فئات المجتمع لتمييز الملكية أو إنهاء المعاملات التجارية. وتجدر الإشارة إلى أن الأختام تستخدم في بعض الأحيان تعاويذ تعلق إما في الرقبة أو اليد.

الأختام في المواقع الأثرية في المملكة. الأختام التي عثر عليها في المواقع الأثرية بالمملكة جاء أغلبها من حفريات مقابر جنوب الظهران، بالإضافة إلى أعداد قليلة من مواقع أخرى. فقد عثر على ختم واحد في كل من دومة الجندل وجزيرة تاروت. كما عثر على ثلاثة أختام من جنوب نادقان، وختمين من شمال الظهران.

وعلى الرغم من ندرة الدراسات عن الأختام في هذه البلاد، فإن من المؤكد أن أقدمها يعود للألف الرابع قبل الميلاد. ويستمر تداولها، كما هو متوافر لدينا من معلومات، حتى العصر الحديدي، ولا يعني هذا عدم تداولها في الفترات اللاحقة.

وأمّا صناعة الأختام في هذا الجزء من الشرق الأدنى القديم، فقد استخدمت فيها مواد متنوعة، مثل الصلصال المحروق، والحجارة التي تشتمل على الحجر المرقط، والحجر الأسود، والحجر الرمادي، والحجر الصابوني الصلب، والعقيق، والحجر نصف الشفاف، والحجر الرسوبي البني الفاتح، والحجر الصابوني الأخضر الباهت، والحجر الصابوني المزجج، وحجر الديورايت، واستخدم الجص ويشمل الجص الملون بالأزرق الباهت، والجص القاتم اللون، والجص العادي والجص المطلي باللون الأخضر مع التزجيج، واستخدم الخشب ويشمل خشب الساج، وخشب السيسم المصقول، واستخدم الرصاص، والصدف، والصدف القوقعي المقطوع.

وقد ظهرت الأختام في هذه المنطقة بأشكال متنوعة، أهمها وأكثرها شيوعاً

الشكل الأسطواني، وأشكال بهيئة خف الجمل، أو بهيئة حيوان رابض، والشكل المخروطي من الجهتين، والشكل المتوازي المستطيلات، والشكل المعين، وأشكال بهيئة الجمل برأسين في طرفيه وسنام في وسطه، والشكل الدائري، والشكل الجملوني، والشكل المزدوج التَّحَدُّب. ولقد أثبتت الدراسات الأثرية لهذه الأختام تعدد المشاهد التي تحملها، وهي تتمثل في التالي:

١) آدمي يقف أمام حيوانات من ذوات القوائم الأربع.
٢) مشهد لحصان مرسوم بأسلوب فني.
٣) إحدى واجهات المباني مصحوبة بإشارات من جنوب الجزيرة العربية من الداخل.
٤) مشهد لتيس جبلي.
٥) منظر لحصان يعدو.
٦) منظر لشجرة وحيوان غامض.
٧) منظر يمثل وحشاً مجنّحاً.
٨) منظر لطير غامض.
٩) منظر يجمع حصاناً ونجمة فوق كتفه.
١٠) منظر يمثل حروفاً آرامية.
١١) منظر لأسد ووحشين مجنحين يرتديان تاجي مصر العليا ومصر السفلى، ويصحبهما زهرة اللوتس في لوحتين منفصلتين.
١٢) مشهد لنباتات بحرية أو أسماك داخل شبكة صيد تصحبها تموجات لسطح البحر.
١٣) منظر لمربعات وعددها أربعة وعشرون.
١٤) منظر لحروف عربية.
١٥) منظر لإنسان.
١٦) منظر لمجموعة من الدوائر.
١٧) منظر يجمع دوائر ونقطاً تشكل مراكز تلك الدوائر.
١٨) منظر حورس وهو واقف، وإطار زخرفي تحت قدميه عليه خمس علامات هيروغليفية.
١٩) منظر لأبي الهول مستلقياً ومرتدياً تاج مصر العليا، وتبدو أمامه علامة (عنخ) وفوق أبي الهول الرموز الهيروغليفية.
٢٠) منظر يمثل تقاطعات هندسية بلا علامات مميزة.

ومن دراسة العلامات والمناظر المرسومة على هذه الأختام يمكن القول إنها تعكس الاتصال الذي كان سائداً آنذاك، إذ يلاحظ أن من بين المجموعة ما يحمل رموزاً مصرية واضحة، ومنها ما يحمل مشاهد من جنوب الجزيرة

العربية، وبعضها يحمل تأثيرات من بلاد الرافـدين. ويلاحظ أن الاتـصال بين الجزيرة العربية وبقية أجزاء العالم القديم قد استمر لفترات زمنية طويلة متوالية.